ولقد تبيّن من دراسة شؤون هاتيك الارباب ان بعضها عربي الاصل والبعض دخيل اما من مصر او من الشام والعراق واظهر الامثلة لذلك عبادة عشتر على انها هي المعروفة بعشتر وعشتروث (بالثين) واسنارت التي كان يعبدها السوريون والاشوريون وكذلك عبادة نسر وهو نسروخ الاشوري

هذا وانا اقدمنا على ابداء رأينا ونحن معتصمون باداب اهل العلم من ان يؤآخذونا والمسئول من فضلهم ان يزجوا ركاب السعي نحو هذا البحث المهم ليجلو لعالم القراء تاريخ الازمنة الواقعة وراء التاريخ المكتوب والله المستعان ان يسدّد اعمالنا ويحسن آمالنا والحمد لله اولاً وآخراً

منزلة الطبيب عند الشرقيين

لجناب الدكتور ابرهيم شدودي

يعزّ عليّ أن تكون فاتحة كلامي في هذه الجريدة تنديداً باخواني الشرقيين لان احبّ ما لديّ الدفاع عن حقوق مواطنيّ ويعزّ عليّ اكثر من ذلك ان ارى اخواني الشرقيين لاهين عن عيب تاركين الاعوام تمكّنه منهم الى ان يأتي اجنبيّ فيصلحه او يدفعهم الى اصلاحه مع انهم اولى بذلك منه وقد يكونون ادرى وليس الغرض تصويب اللوم الى زيد وعمرو ان استثناء بكر وخالد ولكني اعرض كلامي على الافهام فيجد كلٌّ فيه ما يناسبه وصاحب البيت أدرى بالذي فيه

وانا على يقين بانني معرضٌ نفسي لالسنة الجاهلين وإعداء الحقيقة واو أنّ ملامتي لم في اوضح برهان على ميلي الى الاصلاح وربّ ملامةٍ من محب خيرٌ من تمليق عدوّ. ولكني إن قلتُ الحق فلا ابالي باللوم علماً مني بان الشرق لا يخلو من ذوي العقول وحبي الحقيقة فلا اكون ناديتُ ميتاً ولا نفختُ في رماد.

ورأيتُ أن ابسط قبل الشروع في البحث عن الامر المقصود كلاماً وجيزاً عن الطب الشرقي وما كان عليه وما صار اليه ليقف القارئ على حقيقة الامر وينظر بعينه سبب الزلل واصل الشطط

لا يخفى ان الطبّ أفَلَ نجمه عن البلاد العربيّة بعد ان سطعَ نورهُ فيها زماناً طويلاً فاصبح ذكر ابن سينا وغيره من اطباء العرب كذكر الغول والعنقاء ولما كانت الابدان لا

تخلو من العلل كثر الدجالون وملأوا البلاد ينتكون في العباد فتك النار في الزرع الهشيم. فمنهم من اتبع في تطبيبه دفترًا قد استنسخه ابوه عن جده ومنهم من ادعى بانه من نسل اشهر الاطباء فولد وولد الطب معه بالوراثة. وقال آخرون أن الطب هبة قد خصهم الله بها دون غيرهم الى غير ذلك من الخزعبلات والدعاوي الباطلة. ولكي لا تضيق في وجوههم ابواب الرزق ادّعوا بانهم قادرون على معالجة جميع الامراض الداخلية او الخارجية. والطب على مذهبهم اهون من ان يُذكر وابسط من البسيط فزعموا انّ كل علةٍ مهما كانت تصدر عن اصلٍ واحدٍ وهو حسب اصطلاحهم فسادٌ يعتري الدم ويدعونه نزلاً وقالوا ان النزل ينتجُ عن سببين إما عن السخونة فتصحبه حمّى وإما عن البرودة فيصحبه هبوط الحرارة مثال ذلك اذا أُصيب زيدٌ بمرض في رئتيه فمات بسببها قالوا اصابت زيدًا سخونةٌ فانزلت على صدره نزلاً قتلهُ والنزل كما يزعمون قلما يبقى في الموضع الذي تولّد فيه ولكنهُ يسيرُ مع سير الدم وسيرهُ في الغالب نزولٌ اي من اعلى الجسم الى اسفله ولذلك دعوهُ نزلاً

وعلاجهم بسيط غالبًا وهو يقتصر على القصد العام فيستعملونهُ في موضعهِ وفي غير موضعهِ اما غذاء المريض فيختلف باختلاف المرض فان كان النزل حارًّا يطعمونهُ مأكلاً باردًا وان كان باردًا فمأكلاً حارًّا. الاّ ان كل دجّال قد خصّ نفسهُ بدواء لداء معلوم فيشتهر واحد بعلاج المعدة وآخر بعلاج الاورام وآخر بعلاج العين الى غير ذلك. وكلٌّ يجتهد باخفاء سر دوائهِ لكي لا يطلع احدٌ عليهِ فينازعهُ استعمالهُ والمنفعة منهُ فالدجال المشهور بدواء العين مثلاً يأخذ من الزئبق الحلو درهمًا ومن الطباشير درهمًا ومن مسحوق العنص درهمًا ويصنع من المجموع رشوشًا يلأُ بهِ العين مهما كانت علتها وقلما تخيبهُ. والمشهور بدواء المعدة يصنع لها مركبًا من مغلي الخشخاش واليانسون والكزبرة والبنفسج والقرفة ويضيف الى المجموع قليلاً من الحنظل وملح الطعام ليجعل الطعم كريهًا ما امكنهُ ويجرع هذه الكاس كل من شكا لهُ المًا في معدتهِ فيجلب لهُ الموت من حيث لا يدري

وكان اذا جاء بلادنا طبيبٌ اجنبيٌّ خاف الدجالون ان يطلع على افعالهم فلا يكتم اسرارهم فيتحاملون عليهِ ويصوبون السنة الطعن اليهِ ويقنعون العامّة بان طب الافرنج لا يوافق الامزجة العربيّة قائلين ان عقاقيرهم الحارة لا تفعل الاّ في بلادهم الباردة فاذا تعاطاها واحدٌ منا احرقت جوفهُ وذهبت بروحهِ فيستصوب العامة رأيهم ويدعون الطبيب الاجنبي وشانهُ

وبقيت دولة الدجالين ضاربةً اطنابها في كل حي تسفك الدماء بغير حساب وتفتك بالعباد كما يفتك بالزرع الجراد الى ان قام المغفور لهُ محمّد علي باشا وانشأ مدرسة القصر العيني

في مصر وهي اول مدرسة طبية قانونية انشئت في البلاد العربية فكثر فيها طلبة الطب وعمت فائدتها مصر والشام حيث انتشرت تلامذتها فوقفت سير الدجالين وكان ذلك رحمة للعالمين . ومنذ خمس وعشرين سنة انشئت مدرسة الطب الاميركية في مدينة بيروت فتخرج منها الاطباء المشهورون وتلتها المدرسة الفرنسوية سنة ١٨٨٣ وهي في غاية في الاتقان والاتساع

ومع ما وصل اليه الطب من التقدم في بلادنا لم تزل آثار مذاهب الدجالين راسخة في عقول العامة رسوخ النقش في الحجر واكثر الناس في بلادنا لا ينزلون الطبيب المنزلة التي يستحقها ولا يقدرونه حق قدره بخلاف ما نراه في البلاد المتمدنة حيث منزلة الطبيب عظيمة في اعين الناس فيسلم العليل اليه امره ويعمل بمشورته معتقدا ان الطبيب يغار على صحته اكثر من غيرته عليها

واذا نظرنا الى افكار ابناء بلادنا في ما يتعلق بالطب والمعالجة امكننا قسمتهم الى اربعة اقسام

القسم الاول اصحاب العقول واحباء العلم وهم قلال ونود لو ان الكل يحذون حذوهم لانهم يحسنون معاملة الطبيب كما يفعل غيرهم في البلاد المتمدنة فيلجأون اليه وقت الحاجة معترفين بعلمه ومعرفته عاملين بمشورته

والقسم الثاني الجهلاء وهم الجانب الاكبر وهؤلاء لا يعرفون ما هو الطب ولا من هو الطبيب بل يسلمون انفسهم لحكم القضاء والقدر فان مرض واحد منهم حرقوا قليلاً من البخور فوق راسه وعلقوا له تميمة بين عينيه وتركوه يتقلب على فراش المنية ثم تعمل به العوامل الطبيعية كيف شاءت فان شفي قالوا رحمة من الله وان مات قالوا انقضت مدته ودنا اجله ولا نضيع الزمن في نصحهم لان الكلام معهم كالضرب في الحديد البارد

والقسم الثالث ودورهم اكثر علما من ذوي القسم الثاني لانهم يسلمون بفائدة الطب غير انهم لا يمكنون امرهم الا لدجال ظنا منهم بان الطبيب القانوني قد اخذ الطب عن الافرنج وعلاجه لا يوافق اجسامهم الشرقية لما فيه من الامور الحديثة التي لم يتبعها آباؤهم من قبل فان مرض واحد منهم ولم يجد لطبيبه دجالا اخذ يردد في افكاره النصائح الطبية التي ورثها عن آبائه لعلها تهديه الى سواء السبيل في امر معالجة نفسه . وعرس الحقيقة في عقول اصحاب هذا القسم اقل صعوبة منه في عقول اصحاب القسم الثاني ولكن تقدمهم في التمدن بطيء ولعل ادمغتهم ترتقي مع ارتقاء العالم العلمي

والقسم الرابع ورجاله اقل عددًا من رجال القسم الثاني والثالث ولكنهم اكثر ادراكًا منهم لان اكثرهم يحسن القراءة والكتابة والبعض منهم قد تعلم في المدارس العليا واتقن اللغات الاجنبية فاقرّ بفضل العلم وبما له من الفعل الشديد في جلب التمدن وارتقاء الهيئة الاجتماعية فلا اكتفي بالتنويه عن هؤلاء كما فعلت بمن سبق ذكرهم ولكني اصوب حديثي اليهم واطيل الشرح في بعض هنواتهم علمًا مني بان الكلام معهم لا يذهب ادراج الرياح لما عندهم من الهداية وبعض الاستعداد

فاصحاب هذا القسم يعرفون حق المعرفة ان الطبّ فنٌّ لا يقدر احد ان يستعمله الاّ اذا اتقن دروسه قانونيًا ونال الشهادة الناطقة بذلك وهم لا يجهلون ان للطبيب في البلاد المتمدنة شأنًا عظيمًا ومنزلةً كبرى في اعين الناس ولكن مذاهبهم فيما يتعلق بالطب كثيرة جدًا فلا اضيع الوقت في ذكر جميعها ولكني اكتفي بالتنويه عن بعضها مفوّضًا للقارىء اللبيب ان يقيس عليها ما بقي فيذهب بعضهم الى ان الطب لا فائدة له بغير الايمان اي انه اذا استدعى مريضٌ طبيبًا ولم يكن له ايمانٌ بطبه يتعذر شفاؤهُ وهذا المذهب لا يخلو من بعض الصحة نظرًا لما للاوهام من التاثير في المجموع العصبي لاسيما في بعض الامراض كالهستيريا ولكنهُ لا يطلق على جميع الامراض وقاعدتهُ تشذُّ في الهستيريا نفسها فلا يمكننا التسليم به ولا البناء عليه

ويذهب آخرون الى ان الطبيب لا يجوز العمل بمشورته الاّ اذا اشعل الشيب ناصيتهُ لزعمهم ان الطبيب الصغير السن لا يعرف من الطب غير العلم ولكنهُ لا يبلغ العمل الاّ متى احنت الاعوام ظهرهُ حتّى ان بعضهم يتوهّم ان الطبيب يخرج من المدرسة حاملاً سيف النقمة والسم يقطر من قلمه فاول عليل يقع بين يديه هالك لا محالة. ولا ينكر ان للعمل في الطب المقام الاول وان الطبيب كلما كبر سنًّا كثر اختبارًا. ولكن ليس هذا برهانًا على ان لا بدّ من وقوع الخطإ في معالجة الطبيب الصغير السن لاننا اذا سلمنا بصحة ذلك حكمنا بان الطبيب لا يمكنهُ استعمال صناعته اذ يخشى كل احد من تسليم نفسه للطبيب المبتدىء على حدٍّ سوى فيتعذّر على الطبيب ان يبتدئ باستعمال صناعته وان يتقدّم فيها ولكنّ من نظر بعين العدل الى كيفية تعليم الطب في ايامنا الحاضرة يحكم بان الطبيب يخرج من المدرسة عارفًا بالطب علمًا وعملاً وان هو لم يخلُ من بعض الهفوات فلا خوف من معالجته ولا سيّ في دوائه لان اكثر ما يتلقاهُ من استاذه علمًا يشاهدهُ في المستشفيات عملاً والتشديد على حضور الكلينيك في اغلب المدارس الطبية اصعب منهُ على حضور التعليم وشاهد ذلك ان التلميذ في المدرسة التي تعلمتُ فيها يعاقب بزيادة ثلاثة اشهر على مدة اقامته في المدرسة اذا

غاب ثلاث مرات عن حضور الكلينيك او خمس مرات عن حضور التعليم وزد على ذلك انه لا يمكن اعطاء شهادة طبيب لتلميذ الاّ اذا امتحن امتحانًا مدققًا بالكلينيك ومتادير الادوية وما اشبه . نعم ان الطبيب الحديث العهد هو في الغالب اقل جرأة في عمله وهذه الصفة تضر بالمريض احيانًا وتفيده احيانًا اخرى مثالهُ لنفرض ان طبيبًا حديث العهد عرف أن زيدًا مصاب بنوع خبيث من الملاريا (حمى خبيثة) ولم يجترئ على اعطائهِ مقدارًا وافرًا من سلفات الكينا خوفًا من التسمم بهذا الدواء فربما مات بعلتهِ وكان الطبيب ملومًا ولكن لنفرض أن رجلاً عصبي المزاج توهم طبيب كبير السن وكثير الاختبار انهُ مصاب بالروماتزم الحاد وبناء على هذا الوهم اشار عليهِ ان ياخذ ثمانية غرامات من سليسيلات الصودا في برهة لا تتجاوز اربع ساعات فاضرَّ بهِ ضررًا شديدًا فلو كان الطبيب حديث العهد لما كان اجترأ ان يصف هذا المقدار من سليسيلات الصودا في مدة اربع ساعات خوفًا من خطر ينبع . والقاعدة عند العامة هي قولهم سَلْ مجربًا ولا تسل حكيمًا فاذا استدعوا الطبيب ورأوا ان دواءهُ لم ينفع من اول مرة قالوا بئس الطبيب وبئس الدواء واصغوا الى الجيران والاصدقاء فيشيرون عليهم بتفويض الامر الى النساء والى العجائز منهنَّ خصوصًا لانهنَّ مجربات اكثر من الاطباء . فلا يمضي الاّ زمن قليل حتَّى تجتمع عجائز الحي في بيت المريض ويشرن عليهِ بشرب مغلي الخيار شنبر وهندي شعيرة وسكر النبات وتبخيره بورق الزيتون او ما اشبه فتملأ معدتهُ من هذا السائل الضخم وتخط قواهُ ويشتد مرضهُ ويمسي في حالة الخطر فيعود اهلهُ الى مذمة الطبيب ويستشيرون العجائز ثانية فيقلن لا بدَّ من ان الطبيب قد غير دمهُ حتَّى لم يعد علاجنا ينجع فيهِ ونحن نرى ان تدعوا طبيبًا آخرًا لعلهُ يصلح ما افسدهُ الاول فيدعون طبيبًا آخرًا فياتي هذا ويفعل ما فعلهُ رفيقهُ لانهم لا يتبعون نصائحهُ ولا يعملون بمشورتهِ ثم يدعون طبيبًا ثالثًا ولا يزالون يتركون طبيبًا ويدعون آخر حتَّى يموت العليل شهيد الجهل والغباوة

جنود الاولاد

يرى بين الغاب الاولاد صناديق صغيرة فيها كثير من الجنود المعدنية بين فرسان ومشاة وقد شرع الاولاد يعنون في عمل هذه اللعب منذ حرب السبعين واهتمَّ الملك فردريك الكبير بامرها شديد الاهتمام والآن يستخدم امهر المصورين لوضع رسومها واشكالها فتصنع من الرصاص بحسب القوالب التي يصنعونها لها وتهذَّب وتسلم للنساء فيدهنها بالالوان المطلوبة